٢٠

الدب آكل العسل



أجمل القصص الملونة

الدب آكل العسل

دار الشرق العربي
بيروت - شارع سورية - بناية درويش

الدبُ الأسمر ، آكلُ العسل

انقضى فصلُ الشتاء ، وبدتْ تباشيرُ الربيع . كان الجوُّ رائعاً في الغابةِ ، الشمسُ تلقي بأشعتِها الذهبيةِ على الكون ، والأزهارُ تنشرُ عبيرَها العطر ، وأسرابُ العَصافيرِ تزقزقُ مرحبةً بقدومِ الربيع . استلقى الدبُ الأسمرُ الكبيرُ باسترخاءٍ على العشبِ الأخضرِ ، أمامَ المَغارةِ التي يسكنُها وزوجتُه الدبة أغمضَ عينيْه وأخذَ ينفثُ دخانَ غليونِه بتكاسل .

كَان يبدو كمنْ يستريحُ من عناءِ عملٍ شاقٍ ، ولكنه في الحقيقةِ لم يبذلْ أيَّ مجهودٍ في ذلك النهار ، إلا إذا اعتبرْنا مجردَ خروجِه من المغارةِ مجهوداً يستحقُّ عليه الراحةَ .

أما زوجتُه الدبةُ الكبيرة ، فجلستْ قريباً منه تحوكُ الصوف .



سألَ الدبُّ زوجتَه : أَحسُّ بالجوع ، ماذا هيأتِ لنا يا عزيزتي لطعامِ الغذاء ؟ انتصبتِ الزوجةُ واقفةً ، وكأنها كانتْ تنتظرُ سماع مثلِ هذا السؤال ، لتنفّسَ عن غضبِها المكبوتِ : تسألُني عن الغذاء ، وأنت لم تحضرْ لنا شيئاً منذُ يومينِ وقد نَفَدَ ما لدينا من طعامٍ . قال الدبُّ : وما العملُ الآن ؟ أجابتِ الزوجةُ : إذهبْ إلى الساقيةِ وأحضرْ لنا سمكاً .



نِعمَ الرأي ، سأذهبُ لإِحضار السمكِ وسأعودُ بسرعة .

ولكنَّ الزوجةَ استدركتْ قائلةً : ولكنْ ، إياكَ أن تقتربَ من النحلاتِ التي بنتْ خليَّتَها في الشجرةِ الهَرِمة لا تنسَ ما حدثَ لك منذُ أيام . قالَ الدبُّ : يا لكِ من زوجةٍ ثرثارةٍ ، تذكرينني بما حدثَ لي ؟ لم أنسَ ذلك ، وما زالَ جسمي يحملُ آثارَه . كفِّي عن هذا الحديثِ أرجوك . ونهضَ ببطء ، وبودِه لو يبقى مستريحاً ، وسار في طريقه نحو الساقية، وهو يترنمُ ببعضِ الأغاني الشائعة .

دخلتِ الدبةُ الكبيرةُ المغارةَ ، وبدأت فوراً بإشعالِ النارِ في الموقِدِ ، وبتهيئةِ المقلاة ، فالساقيةُ قريبة ، والسمكُ فيها وفيرٌ ، كما أنَّ الدبَّ الأسمرَ ماهرٌ في الصيدِ ، فلن يطولَ غيابُهُ إذنْ . سارَ الدبُّ على مهلٍ متجهاً إلى الساقيةِ ، وكانَ يحاولُ أن يطردَ مِن ذهنهِ الذكرى الأليمةَ ،ذكرى ما حدثَ له منذُ أيامٍ معدوداتٍ .

لن يذهَبَ بعدَ الآنِ إلى الشجرةِ الهرمةِ ، وكانَ صادقَ النيةِ في عزمِه هذا . ولكنَّه ، ويا للعجبْ ، وجدَ نفسَه قريباً

من الشجرةِ التي بَنَتْ فيها النحلاتُ خليتَها . لقد ساقته قدماهُ إلى هذا المكانِ دونَ أن يشعرَ .

كان النَسيمُ العليلُ يحملُ الرائحةَ العطرةَ التي تنبعثُ من الشجرة ، لكأَنَّ النحلاتِ امتصتْ رحيقَ أزهارِ الغابةِ كلِّها ، فكانَ للعسلِ هذه الرائحةُ الذكيةُ وكانتِ الرائحةُ تملأُ خياشيمَه وتزدادُ قوةً كلَّما اقتَرَبَ من الشجرة .

بعد لحظاتٍ كان بقربِ الخليةِ مدَّ يدَه الضخمةَ المكسوةَ بالشعرِ إلى الخليةِ بحَذَرٍ وسحبَ منها قرصاً كبيراً من شهدِ العسل ، أمسك بالقرصِ بِلَهفةٍ ، وبدأَ يزدردهُ بنَهَمٍ .

كانَتِ النحلاتُ داخلَ الخلية تنظرُ إلى ما أنجزتْ من عملٍ بعينِ الإعجابِ . وفجأة رأتِ اليدَ العدوَّةَ تمتدُّ وتسرقُ جهدَ الأيامِ الطويلةِ .

ثارَ غضبُها ، وخرجتْ من الخليةِ أسراباً ،لتنتقمَ من هذا العدوِ الجشعِ . هجمتِ النحلاتُ على الدبِّ الأسمرِ آكلِ العسل ، وكانَ صوتُ طنينِها يعلو كأنَّهُ صوتُ سربٍ من الطائراتِ



المقاتلَةِ . أحسَّ الدبُّ الأسمرُ بالخَطَرِ ، فركَضَ بكلِّ ما أوتيَ من قوةٍ ، صارخاً متألماً والنحلُ يلسعُه .

وصلَ الدبُّ إلى الساقيةِ ، ولم يتردَّدْ لحظةً في القفزِ إلى الماءِ ،



كانَ الماءُ شديدَ البرودةِ ، ولكنَّ الدبَّ كانَ يخافُ لَسَعَاتِ النحلِ أَكثرَ مِما يخافُ برودةَ الماءِ .

وغمرتِ المياهُ جسمَه الضخمَ ، ولم يعدْ يظهرُ منه سوى

أنفُه ، كمْ كانَ بودِه لو يغمرُ أَنفَه في الماء ، ولكنْ كيفَ يتنفسُ ؟ ظلَّ الدبُّ الأسمرُ في مكانِه جامداً لا يجرُؤ على الحركة ، واغتنمتِ السمكاتُ الفرصةَ فبدأتْ تقرصُهُ واقتربتْ منه سحليةٌ أخذتْ تداعبُ قدمَه تَحت الماء . ومع ذلك ظلَّ صامداً لا يتحرك . كانتِ النحلاتُ تتجولُ في أرجاءِ الغابةِ بحثاً عن عدوِّها اللدودِ سارِق العسلِ وفجأةً لمحتْه في الساقية كان يبدو ،أشبَه بصخرةٍ كبيرةٍ استقرتْ في الماءِ ووجدتِ النحلاتُ طريقةً للهجومِ عليهِ ، فبدأت تلسعُه في أَنفِه لَسَعاتٍ وضعتْ فيها كلَّ ما في قلوبِها الصغيرةِ من حقدٍ عليه ، حتى لا يتجرأَ على مهاجمتِهَا ثانية ، وعلى سرقةِ العسلِ الذي أرهقتْ نفسَها في سبيلِ الحصولِ على كلِّ قطرةٍ منه .

وعبثاً حاولَ الدبُّ إبعادَ النحلاتِ عنه ،فقد كانتْ مصممةً على الثأرِ والانتقام .

صرخَ الدبُّ الأسمرُ متألماً ، ولم يعدْ قادراً على التحملِ فخرجَ من الماء واختبأَ في مغارةٍ قريبةٍ من ضفةِ الساقية ،

وظلَّ في مكانِه حتى أرخى الليلُ سدولَه وكانتِ النحلاتُ قد عادتْ مع أشعةِ الشمسِ الأخيرةِ إلى خليتِها حزينةً لضياعِ تعبِها وفي نفس الوقتِ فرحةً لأنها انتقمتْ من عدوِّها الشره .

خَرَجَ الدبُ الأسمرُ الكبيرُ من المغارةِ وتلفتَ يميناً وشمالاً ليَتأكَّدَ مِن سلامةِ الطريق ، ثم اتجهَ إلى البيتِ ، ولكنه تذكرَ فجأةً ما طلبتْ زوجتُه فعادَ مُسرعاً إلى الساقِيةِ وراحَ يرقبُ الماء . وتحسسَ بيدهِ الضخمةِ حجراً كبيراً رفعه بسرعة وكان تحتَه سمكةُ « ترويت » كبيرةٌ ، مدَّ يده بخفةٍ والتقطَ السمكةَ وعاد بها إلى زوجتِه فرحاً مسروراً

كانتِ الدبةُ الكبيرةُ في غايةِ القلقِ لتأخرِ زوجِها وخشيتْ أن يكونَ قد أصابَه مكروهٌ نظراً لما تعرفُه من سوءِ علاقاتِه بجيرانِه حَيَواناتِ الغابة ، وتبددَ قلقُها عندما رأته قادماً وعلاماتُ الفَرحِ تبدو على وجههِ الضخم ، وكان يغني بصوتٍ عالٍ . استقبلتْه الدبة مرحبةً فتلقاها بذراعينِ مَفتوحتينِ وراحَ يقبلُها في أذنيْها .





عجبتِ الدبةُ لرؤيتهِ بهذه الحالِ فما تعودتْ منه إلا الشدةَ والعنفَ ، لقد كانَ دائماً قاسياً متعنتاً في معاملتِها ، لا شكَّ في أنه قد ارتكبَ حماقةً ما وهو يكفرُ عنها بالتظاهرِ باللطفِ والبشاشةِ .

نظرتِ الدبةُ إلى وجهِه فراعَها منظرُ أنفِه المتورمِ وأدركتْ حقيقةَ ما حدثَ . قالت : لم تستمعْ إلى نصيحتي ، وعدتَ ثانيةً إلى سَرِقةِ أقراصِ الشهدِ ، فلسعتْكَ النحلاتُ ، ألم أحذرْكَ ؟ ها قد نلتَ جزاءَ عملِكَ ، وسيستَغرقُ شفاؤُكَ زمناً ليسَ بالقصيرِ ، وسوفَ تكونُ ، من جديدٍ ، محلَ ضحكِ وسخرِية حيواناتِ الغابةِ كلِّها أنتَ الدبُ الأسمرُ الكبيرُ ضحيةُ النحلاتِ الصغيرةِ .

أكلتُ أشهى قرصِ عسلٍ ذقتهُ في حياتي .

وانتقمتْ منك النحلاتُ أبشَعَ انتقام .

سكتَ الدبُّ الأسمرُ ، فقد كانَ يعرِفُ أنه أخطأَ وأن عليهِ أن يتحملَ نتيجةَ أخطائِه .

وكانتِ الدبةُ ذاتَ قلبٍ رقيقٍ فسامحتْ زوجَهَا ، وسارعتْ إلى تضميدِ أنفِه ولفَّت حولَه رباطاً أَنيقاً أبيضَ ، بحيثُ أصبحَ الأنفُ يغطى جزءاً كبيراً من مساحةِ وجه الدبِّ الأسمرِ الكبير .

وتعويضاً له عن الألمِ الذي قاساه ، قدمتْ له قطعةً كبيرةً من سمكِ « الترويت » التي أعدتْها لطعامِ العشاءِ .

قال الدبُّ وهو يطلقُ تنهدةَ ارتياحٍ : إنها أَشهى سَمكَةٍ أكلتُها في حياتي ولكنه كانَ ـ في قرارةِ نفسهِ ـ يحلُمُ بقرصِ من العسل يتناولُه بعد الطعامِ صحيحٌ أنه وَعَدَ زوجتَه بعدمِ تكرار التجربةِ ، ولكن مَنْ يَدري ؟ قد تكونُ النحلاتُ أكثرَ لطفاً في المرةِ التاليةِ فلا تلسعُه .

أمَّا وعدُه لزوجتِه فما أكثرَ ما وَعَدَها وأخلفَ الوَعدَ .

حبُّه للعسلِ أَقوى من أنْ يُقَاوم .

